قال ابن خلّكان: «وكان الشافعي كثير المناقب، جمَّ المفاخر، منقطع النظير»[1].

تعلـم الأدب واللغـة:

الإمام الشافعي من قريش، ونشأ بمكة المكرمة، وبدأ حياته بتعلم الأدب، وحفظ الشعر العربي، والإقبال على اللغة، وحفظ القرآن الكريم الذي نزل بلسان عربي مبين، وبلاغة رفيعة، وبيان منقطع النظير أعجز البشر عن أن يأتوا بمثله، وقرأ أخبار العرب وأيامهم، واكتسب فصاحة اللسان، وجودة النطق، وفهم أسرار العربية، وأدرك مرامي ألفاظها وعباراتها وأسلوبها، فساعده ذلك على تفهم معاني القرآن والسنة، وأفاده قوة في التعبير، ورصانة في الأسلوب، وأصبح عالماً باللغة دلالة وأسلوباً، وهضم الأدب، ثم اتجه إلى الكتابة فيه.

ولكن الشافعي ـ مع كونه قرشياً، ونشأ في مكة، ونهل من معينها اللغة العربية والفصاحة والبيان ـ لم يقف عند ذلك، بل ذهب إلى البادية العربية، وقصد قبيلة هذيل، وكانت أفصح العرب، ومشهورة بالشعر في الجاهلية والإسلام، بل هي من القبائل العربية التي أعرقت في الشعر، ويضرب بها المثل، فيقال: «أشعر من هذيل» وهذيل رجل من

---

(١) وفيات الأعيان ٣/ ٣٠٥، وذكر الخطيب البغدادي بعض مزايا الشافعي، وقال: «منها جزيل حظّه من الأدب، وجلالة محتده في النسب الذي ساوى به في الحكم بني عبد المطلب، ثم قال: «فإن مناقبه أكثر من أن تحصى، وعدّ ما جمع الله فيه لا يستوفى.
فسما على الأكفاء، فصار نسيج وحده، وفريد مَجْده، وقريع دهره، وواحد عصره، إن ذكرت المفاخر فهو الغاية، وإن عدت المحاسن فهو النهاية. ثم ينقل الخطيب ثناء الأئمة والعلماء عليه، انظر: رسالة مسألة «الاحتجاج بالشافعي فيما أسند إليه» للخطيب البغدادي، تحقيق الدكتور خليل ملا خاطر، ص ٣٧٠، ٣٩٢ من مجلة البحوث الإسلامية، الرياض، المجلد الأول، العدد الثاني.

مضر ، ولها شعر جاهلي ، وشعر إسلامي فصيح ، يتناول الحماسة والفضائل ، حتى قال حسان بن ثابت شاعر الرسول ﷺ عن هذيل ، «إنهم أشعر القبائل العربية» وقال الأصمعي: «فيهم أربعون شاعراً مُفلقاً»[1] ، ولزم الشافعي قبيلة هذيل عدة سنوات ، أو مدة تبلغ عشر سنوات متقطعة ، وفي رواية أنه لزم هذيلاً سبعة عشر عاماً ، فاستفاد منها ـ مع كونه عربياً وقرشياً ـ المعرفة الواسعة باللغة والأدب والشعر ، وحفظ شعر الهذليين الذي يصل إلى عشرة آلاف بيت ، مع إعرابها ومعانيها ، ثم قام بنقله وروايته إلى الناس ، كما حفظ شعر الشَّنْفرى الجاهلي ورواه لغيره ، واستفاد الشافعي من الإقامة مع الهذليين قوة التعبير ، ورصانة العبارة في الأسلوب ، والذوق الرقيق في البيان[2].

الشافعي أستاذ في الأدب:

جمع الإمام الشافعي بين منابع اللغة وأدبها وأشعارها وتاريخها في الدراسة والتلقي عند الهذليين وفي مكة ، وبين فصاحة القرآن العظيم ، وبيانه المبين الذي حفظه غيباً من الصغر ، وكان يتلوه آناء الليل وأطراف النهار ، ويعكف على تدبره ، وتذوق معانيه ، وفهم ألفاظه ، واستنباط الأحكام الشرعية منه ، وكان تعمقه باللغة يساعده في فهم القرآن الكريم ، وكانت فصاحة القرآن وبيانه وتلاوته وتدبره يزيده تعمقاً في اللغة ، حتى صار أستاذاً فيها.

ولذلك قال فيه إمام اللغة الجاحظ ـ مع كونه من أقسى النقاد ، وأنه ينتمي إلى المعتزلة الذين يعادون أهل السنة ـ قولته المشهورة: «نظرت في

---

(١) قال الشافعي نفسه عن هُذَيل: «كانت أفصحَ العرب» انظر: ديوان الشافعي ص ٦ ، الإمام الشافعي للجندي ص ٥٢.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٠/ ١٤ ، محاضرات جاد الرب ص ١٤.